

سلسلة : وُصُولُ التَّهَانِي بِتَفْرِيحِ أَشْرَطَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (5)

لِقَاءُ بَعْنَوَان :

**"جُمْلَةٌ مِنَ الْوَصَايَا
إِلَى الْإِخْوَةِ الزَّائِرِينَ
مِنْ بِلَادِ لِيْبِيَا"**

للشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الله تعالى -

المُدْرَسُ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

أَلْقَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ (8/ جُمَادَى الْأُولَى/ 1439هـ)

فِي مَسْجِدِ بَدْرِ الْعَتَبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

(نسخة مخرجة الأحاديث)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة مُقَرَّرَ له سبحانه بالربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات ، كما أنزلها في كتابه المبين ، وأصلي وأسلم على خيرته من خلقه ، نبينا محمد ، مرحمته للعالمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فمرحباً بأبنائنا ، وإخواننا ، وأحبتنا ، نرؤنا هذه الليلة ، الذين نراهم من بلاد ليبيا ، التي نسأل الله - جل وعلا - أن ينشر فيها الأمن والأمان والإيمان ، ويعمّ بذلك جميع أرجائها ، وينصر فيها أهل الحق وجند الإيمان ، ويقمع أهل الباطل ودعاة الفرقة - أعوان الشيطان - ، إنه جوادٌ كريم .

فمرحباً ، وأهلاً ، وسهلاً بكم جميعاً ، وحياكم الله ، وأسأل الله - جل وعلا - أن يعينكم على أداء ما جئتم له ؛ وهو هذه العمرة ، كما أسأله - جل وعلا - أن يتقبل منكم زيارته مسجد مرسله صلى الله عليه وسلم ، بهذه المدينة الطيبة - طيبة الطيبة - ، وأسأله - جل وعلا - أن يزرقنا جميعاً وإياكم الفقه في الدين ، والبصيرة فيه ، والثبات على الحق والهدى حتى نلقاه ، إنه جوادٌ كريم .

معشر الأُحبة : إنَّ من أعظم ما يوصى به : العلم ؛ وقد كُثِرَ الكلام في ذلك ، ولكن ليس كل غادرٍ ومرائحٍ إلى حلِّقه مُحَصِّلًا له ، فالرائحون كثير ، والغادون كثير ، والمُحَصِّلون قليل ، والمُحَصِّلون على الحقيقة قليل ، وإلا الرائحون الذاهبون الغادون كثير .

ولعل سائلاً يسأل : فكيف الطريق إلى التحصيل ؟

وقد أجبنا على هذا كثيراً ، وهو معلوم ، ومنشور ، ولكننا الليلة أحببنا أن نعيده لنزهد في توكيده .

معشر الأُحبة : إنَّ التحصيل الصحيح إنما هو بالتأصيل الصحيح ، فإذا صحَّ التأصيل أثمر الصحيح في التحصيل ، وليُعلم أن التأصيل الصحيح يقوم على ثلاثة أركان :

أولاً: اختيار الكتاب، وثانياً: اختيار المعلم، وثالثاً: الحفظ .

أولاً: حسن الاختيار للكتاب، وثانياً - معشر الأحبة - حسن اختيار المعلم، وثالثاً: الحفظ .

فإن التأصيل يقوم على هذه الأمور الثلاثة .

فأما حسن اختيار الكتاب : فأنت تختار بخيرة الأشياء إذا كنت لا تعرف ، تختار الكتاب الراجح في كل فن ، الذي عليه المعول والعمل في هذا الفن .

وفي هذا الباب نقول : إنَّ الراجح والذي عليه المعول والعمل في هذا الباب في كل فن هو المشهور عند العلماء طرُقُه ، ونعني بطرقه : تدريسه ، وشرحه بين الناس ، وتجدد مع ذلك العلماء من قبل على هذا ، فتجدد الشروح الكثيرة الوفيرة على هذا المتن بين العلماء ، وما كثرة الشروح له في السابق واللاحق والمعاصرين لك إلا دليل على مرجحانه ، ودليل على أنَّ أكثر التداول بين الناس له ، وهو بذلك يربحك من العناية الكثير ، الذي تتبعه في كتب لم تطرق من قبل ، فإذا حرصت على هذه الكتب ، فأخذتها ، وقرأتها على ذلك المعلم ، وحفظتها ، سرت مسامر العلماء قبلك ؛ لأنهم قد سبقوا في هذا الطريق ؛ فحفظوا هذه الكتب ، واعتنوا بها قراءةً ، وتدبراً ، وتأملاً ، وتفقهاً ، أخذوها على أيدي العلماء والمشايخ ، ومراجعوها في كتب الشروح ، فيحصل لك العلم بهذا الفن في هذا الكتاب .

فمثلاً الآن ترى الناس علمهم على ألفية ابن مالك ولأ ابن معطي في النحو ؟ ابن مالك ، من يعرف ابن معطي ؟ إلا في الذِّكر ، وحتى أهل الاختصاص قلَّ بل ندم منهم من يرجع إليهما ، فالمدرسة مدرسة ابن مالك - رحمه الله تعالى - فأنت ما تدع ابن مالك وتذهب لابن معطي ، فإنك عبثاً تحاول ، ويذهب عليك كثير من الوقت ، مع أنَّ الأصل الموجود هنا موجود هنا ، وفي ابن مالك الزيادة ، وعلى ابن مالك الشروح ، والحواشي ، والاعتراض ، والانتصار ، والتصحيح ، والتصويب ، فتجد هذا وافراً عليه بما لا تجد عشر عشر عشر عشر معشاره على ابن معطي ، فهل يُعقل أن تدع ألفية ابن مالك لألفية ابن معطي ؟ ما يُعقل ، وهكذا قس في هذا الباب بقية الفنون ،

فعليك بالمشهور الذي مشى فيه من مشى قبلك ، وإياك والمغمور ، هذا أولاً .

ثانياً : حسن الاختيار للمعلم ؛ فعليكم بأهل السنة ، لأنهم مأمونون ، حتى ولو قل العلم عند بعضهم في بعض البلدان ، أو في بعض الحلق ، أو في بعض الفنون ، فإن جانبهم مأمون ، تتلقون على أيديهم وأتم آمنون ؛ لأن هؤلاء مأمونون ، فلا يأتيكم من قبلكم إلا الخير ، وهذا لا يكون إلا في من اشتهرت بين الناس مكانته ، وأقرؤا له بذلك ، فلم يعترضوا عليه ، ولم يختلف فيه ، أو من أثنى عليه أهل العلم ، وشهدوا له ، وحثوا الناس على الأخذ عليه ، ولم يوجد ما يتقض من كلامهم من ذلك شيئاً ، فإن هؤلاء هم الأهل لأن يؤخذ عليهم ، ويُتخذ إليهم ، ويُتلقى عنهم .

وليس كل من جلس للتدريس استحق اسم المدرس - كما قلنا بالأمس القريب - لأننا في زمن كثير فيه الأدعياء ، وقل فيه الأتقياء .

ونسأل الله - جل وعلا - أن يجعلنا وإياكم من أهل تقواه ، كما أسأله - سبحانه وتعالى - أن يثبتنا وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه .

والمعلم الصادق الناصح هو أب للمتعلمين ، يحوطهم بعنايته ، ويكلؤهم برعايته ، يصغي إلى حاضرهم ، ويقبل إليه بما ينفعه ، ويُنَبِّه غافلهم ، ويعَلِّم جاهلهم ، ويتفقد غائبهم ، حرصاً منه على الخير ، اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد كان عليه الصلاة والسلام يتفقد أصحابه ويسأل عنهم : ما بال فلان ، ما بال فلان : صلى الله عليه وسلم .

فالمعلم أب للمستفيدين للطلاب ، فعليه أن يوسع صدره ، وأن يُظهر للطلبة والوافدين عليه الرحمة ، والحب ، والشفقة ، والحرص على إيصال الخير إليهم بكل وجه يستطيع إيصاله به إليهم ؛ لأنه أب للجميع ، ووالد للجميع ، وهؤلاء أبناؤه ، فكم من عالم ليس له ولد ، نشر علمه أولاده الذين علمهم ، كم من عالم أيضاً ليس له مؤلف لكن كثير ذكره بسبب طلابه ، فالأئمة الأولون كثير منهم لا توجد لهم مؤلفات ، لكن النقل عنهم حفظ

أسمائهم ، فطلابك الأخيار هم أبناءك الأبرار ، وأما الفجار فلا خير فيهم ، وهؤلاء هم الذين يختلون الدين بالدينا ، -نسأل الله العافية والسلامة- .

فعلم المعلم: أن يتفقد أبنائه وطلابه ، هذا هو المعلم الذي يستفاد منه ، فأتم عليكم بالبحث عن المعلمين ، ولا تجلسوا لكل أحد ، يقول مالك رحمه الله : (أدركت في هذا المسجد سبعين ، كل واحد منهم لو جعل على بيت مال المسلمين لكان أميناً ، ولم نأخذ عنه ، حتى قدم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري فابتدعناه ، لأنه يدرى هذا الشأن) يعني علم الحديث والسنة ، سبعين في ذلك الزمان ، يقول عنهم مالك هذا الكلام ، كيف لو أدرك مالك زماننا اليوم ؟ ما عسى أن يقول فينا ؟

فلا بد - معشر الأجابة - أن يُنظر إلى من يؤخذ عليه ، فإنه هو المفيد الناصح ؛ المفيد لك بالعلم ، والناصح لك بما ينفعك في دينك ودنياك وآخرتك ، هذا هو المعلم الصحيح الذي يُسمى معلماً ، فإذا ظفر قربه فعضواً عليه بالنواجذ .
والثالث : الاعتناء بالحفظ ؛ فإن المرء إذا تعلّم ولم يحفظ ما كانه تعلّم ، فالحفظ هو العلم ،

إنما علمك ما تحفظه مع فهمٍ وتوقٍ من غلط
وإنما التعليم بالتعلّم والحفظ والتدقيق والتفهّم

فالحفظ هو العلم - معشر الأجابة -

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

لأن العلم يبقى معك في صدرك ، أما الكتب ففي بيتك في الخزائن ، فاعتنوا بالحفظ للمتون في مختلف الفنون ، فهذا الذي يبقى معكم يسافر معكم ، وقيم معكم ، أينما حللتهم حل معكم .

وكنزاً لا تخاف عليه لصاً خفيف الحمل إن أنت امرتلتا

وصيته لابنه أبي بكر

أبا بكر دعوتك لو أجبتا إلى ما فيه حظك لو عقلتا

إلى أن قال له هذا البيت :

..... إلى علم تكون به إماما

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]

فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ، والصبر واليقين لا يكون إلا بالعلم .

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]

وكما قال جل وعلا لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَكَأَ تَخْزَنُ عَلَيْهِمْ وَكَأَ تَكُ فِي

ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 127-128]

كما سبق في الآية التي قبل ، فأهل الإيمان والتقوى والإحسان هم أهل العلم العارفون بالله جل وعلا ، فلا يمكن أن يتأتى إلا بهذه الطريقة ، فالعلم يبقى معك بالحفظ ، وقد يأتي عليك وقت تسافر ، وربما تُسَفَّر ، وربما تُحبس ، أو تُطرد من بلد ما ، ما يدري الإنسان حوادث الزمان ، ما يدري ، فإذا لم يكن معك المحفوظ ما كأنك تعلمت ، (أنا ما ذا يعمل بي أعدائي) ¹ ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ، إخراجهم من بلده سياحة ، وسجنه خلوة ، وقتله شهادة ، ما الذي بلغه هذه المكانة ؟ العلم ، إذا حبس أنس بالله ، تفرغ لعلمه ولعبادة ربه ، ما تضيق عليه الدنيا ، إذا طُرد كان سياحة في سبيل الله جل وعلا ، أينما حل نفع الله به .

وشيوخ الإسلام نفع الله به في الشام ، طُرد إلى مصر فنفع الله به في مصر ، أُعيد إلى الشام نفع الله به في الشام ، قبله المحافظ عبد الغني المقدسي في الشام نفع الله به نفعا عظيما ، أخرجوه إلى مصر ، نفع الله به ، طلع إلى الاسكندرية نفع الله به ، عاد إلى القاهرة نفع الله به ، فالعلم هو المحفوظ - معشر الأحبة -

..... خفيف الحمل إن انت امر تحللتا

¹ قال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه : " الوابل الصيب " (ص 48) عن شيخه شيخ الإسلام - رحمه الله - : (وقال لي مرة : ما يصنع أعدائي

بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن مرحت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة) .

فإذا لم يكن حفظ فلا علم ، فأوصيكم - معشر الأجابة بذلك - ، فأتتم إذا حققتهم هذا حصل لكم التأصيل الصحيح ، وإذا حصل التأصيل الصحيح أثمر التحصيل الصحيح ، فالتحصيل ثمرة تصحيح التأصيل .
والآن - أنتم - ترون الفوضى العلمية في كثير من طلبة العلم ؛ إما لأنه لم يكمل كتاباً ، أو لأنه أكمله هذا ، لم يدقّه ،

..... والحفظ والتدقيق والتفهم

وإما لأنه لم يأخذه على عالم ، وإنما أخذه على مثله ، أو قرأه بنفسه ، هذا كله لا يفيد .

فعلى طالب العلم أن يتأصل ، فمن تأصل توصل بإذن الله وحصل .

ثم أوصيكم بأمرٍ ثاني : ألا وهو : احترام ما تتعلمون ؛ وذلك بالعلم به ، وتطبيقه ، احترام العلم الذي تتعلمونه ، وتدبرونه ، وتفهمونه ، وذلك بالعمل به ، وتطبيقه في حياتكم ، فإن المرء إنما تعلم ليعمل .

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: 19]

فعليك أن تطبق العلم بالعمل ، فإن " العلم يهتف بالعلم ، فإن أجيب وإلا امر تحل " ، فمن احترام علمه وعمل به ، أمرته الله احترام الناس ، ومن تلاعب في علمه ونحاه جانباً كأنه لم يتعلم أمرته الله احتقار الناس ، فأنت بين احترام الناس واحتقار الناس ، فاختر لنفسك ، فإذا تعلم العبد عامراً وعيبٌ عليه أن يعود شبه عامي ، إن لم يكن عامياً ، ما كأنه تعلم ، تهزله الهوانر ، وتلعب به أرياح الأهواء والبدع ، وتلعب له أرياح الشبهات ، تأمرة غيمته وتأمره يسرة ، فتتنظر إليه هذا تعلم ! يا الله العجب ، لو كان عامياً كان خيراً له ، كأنه ما تعلم ، ولا استفاد شيئاً من القواعد ، ولا من الأصول ، فهذا في الحقيقة علمه لم ينفعه ، فهو والعوام سواء .

واحذروا التقليد ، الوصية الثالثة ، أوصيكم ونفسي بالحد من التقليد ، فإن التقليد آفة ، ولا يُصار إليه إلا عند الضرورة ، أقصى ما يكون الإنسان في الاضطراب يصير إليه ، فطالب العلم الذي تعلم وتأصل وعرف الأصول والقواعد ؛ اللغة العربية نحواً وصرفاً ، عرف أصول الفقه التي يستنبط بها الأحكام ، عرف أصول

التفسير ، عرف أصول الحديث ، التي تُعرف بها الصحيح من الضعيف ، وقرأ في شروح الحديث ، وقرأ في كتب الفقه ، هذا عيبٌ عليه أن يقلّد وهو يعرف الهدى والحق بدليله .

فأعلم معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليد يستويان

والجمل داء قاتلٌ ودواؤه أمران في التركيب متفقان

نصٌ من القرآن أو من سنة وطبيبٌ ذاك العالم الرباني

فالتقليد ما يُصار إليه إلا عند الضرورة ، ونحن ما نقول الناس كلهم أهل اجتهاد ، لا ، هناك العالم المجتهد ، وهناك العالم المتبع ، وهناك طالب العلم المتقدم على أن ينظر في الأدلة ، كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ، ونقل ذلك عنه في كتاب " الإقناع " ¹ ، طالب العلم المتمكن إذا أراد الحق وبحث عنه فإنه يوفقه الله ، كما قال - رحمه الله تعالى - ، ينظر في الأدلة ، يُطبّق القواعد ، القواعد الاصطلاحية في التصحيح والتضعيف ، الأصولية في الاستنباط ، وهكذا ، هذا يوفقه الله - جل وعلا - ، إذا علم منه الإخلاص ، والتجرد ، وقصد الحق ، وإرادة الحق ، فإن الله يوفقه .

والأمر الرابع الذي أوصيكم به - معشر الأجابة - : هو اختيار صاحب المعين لكم في هذا الباب ،

الذي يأخذ باليد منك إن كسلت فينشطك ، ويأخذ بيدك إن جهلت فيعينك ، ويصحح لك ، ويأخذ بيدك إن غفلت فينبهك ، فدائماً أنت معه في اغتباط وانزدياد .

وإياكم ثم إياكم بصحة البطّالين ، إياكم ثم إياكم وصحة البطّالين ، الذين مجالسهم كلها لا خير فيها ، كلها تذهب لغواً وكلاماً ، والمرء يُظلم - والله - قلبه إذا ذهب عليه أوقاته ، ولا يستغلها ، ولا يحزم فيها ، العمر قصير ، والعلم كثير ، والآخرة قريبة ، والدنيا مودعة ، ولا ندري متى نرحل ، ولا ندري ما يهجم الضيف الذي هو الموت ،

¹ كتاب " الإقناع بما جاء عن أئمة الدعوة من الأقوال في الاتباع " للشيخ محمد بن هادي المدخلي حفظه الله .

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب إذا حطّ ذا نغشه ذاك يركب

فنسأل الله - جل وعلا - أن يحسن لنا ولكم الاستعداد له ، وإنما الاستعداد يكون العلم والعمل الصالح ،
والصاحب الصالح نعم المعين لك - بإذن الله تبارك وتعالى - فاصحب أهل التقى ، وأهل الهمم العالية ،
عليكم بهؤلاء ، واحذروا صحبة البطالين ؛ الذين ينسطون إذا ضيغتم معهم الأوقات ، وتضيّق
صدورهم إذا ذكروهم بالعلوم ، احذروا هؤلاء ، وعليكم بالصف الأول الذين تنتفعون منهم في
دينكم ودنياكم .

ثم أوصيكم بالأمر الخامس : وهو أن تبذلوا للناس ما تعلمتموه ، قد دعوهم إلى الخير ، فإن الله جل وعلا قال :
﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾
[التوبة: 122] ، وإنذار الناس يكون بتعليمهم للخير ، بتعليمهم الخير ، وتحذيرهم الشر ، وهذا لا يكون إلا من
العالم ، وطالب العلب ، فإن من دعا إلى الله على بصيرة هو الذي ينفع الله به .

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: 108]

قال جل وعلا - : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: 15] .

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125]

هذا الذي أمر به رسوله ، ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: 15] ، ﴿ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: 112]

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: 108]

هذا الذي أمره الله به ، قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال الله فيه : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ

كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: 15] ، ﴿ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: 112]

وفي الآية الثالثة التي سمعتموها ، فالدعوة إلى الله جل وعلا - إنما تكون بالبصيرة وهي العلم .

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: 125]

فإذا لم تكن على طريقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي أمره أن يكون عليها :

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: 15] ، ﴿ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: 112] ، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى

اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: 108] ، فإذا لم تكن معك البصيرة كيف تجادل بالحجة ؟ ما عندك علم ، ﴿ وَجَادِلْهُمْ

بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125] ، فلذلك لا يمكن أن تحصل المجادلة بالتي هي أحسن إلا لمن علم ،

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125] .

من يعرف هذا ؟ أهل العلم ، فالدعوة إلى الله لا تكون إلا بالعلم ، الذي أمرنا الله جل وعلا أن نكون عليه ،

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: 15] ، ﴿ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: 112] ، الأمر هو الذي في هذه

الآية ، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: 125] .

فإذا لم يكن عندك علم كيف تجادل ؟ وكيف تعظ ؟

إذن تبين من هذه الآيات الآتي : أن الدعوة إلى الله هي طريق الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

الثاني : أن الله أمرنا أن نكون على ما كان عليه رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ

كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: 15] ، ﴿ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: 112] ، كما أمرت ، والأمر الذي أمرنا به هو في قوله :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: 125] ، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: 108] فقله : ﴿ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: 108] هم الذي قيل فيهم : ﴿ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود:

112] ، فالواجب بث العلم ، ونشره حتى ينزل مكان الجهل ، ويرتفع الجهل ، وينتشف ظلامه ، فيعلم الناس .

وليُعلم أول ما يجب علينا وعليكم جميعاً دعوة الناس إلى توحيد الله جل وعلا ، وإفراذه بالعبادة ، تحقيق التوحيد

، توحيد العبادة ، الذي لولقينا الله بكل عمل صالح ولم يكن معنا لم يتفنا ذلك العمل الصالح ،

﴿ وَكَوَأَشْرَكَوا لِحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: 88] ،

﴿وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتْ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ
وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿[الزمر: 65-66]، وقال جل وعلا في الكفار: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ثم قال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67]
هؤلاء المشركون لا ينفعهم أي عمل يعملونه مع وجود الشرك ﴿وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ
أَشْرَكَتْ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: 65]، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88]،
﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾ [الفرقان: 23]، لما ؟ لأنهم لا إيمان معهم .

فأول ما يجب أن ندعوا الناس إليه هو إخلاص العبادة لله - جل وعلا - ؛ بإفراده - سبحانه وتعالى - بهذه العبادة ، من
صلاة ، وصيام ، وزكاة ، ونذر ، وحلف ، وخوف ، ورجبة ، وربة ، وإنابة ، وخشوع ، وخضوع ، ودعاء ،
وطواف ، واستغاثه ، واستعاذه ، لا تكون إلا له - سبحانه وتعالى - ، ثم وصفه بما وصف به نفسه في كتابه
الكريم ووصفه به نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح المنقول عنه - عليه الصلاة
والسلام - فيعلم الناس هذا ، فلو لقوا الله به مع قليل العلم نفهم ، ولو لقوا الله بكثير العمل مع عدمه لم ينفعهم ،
فاعتوا به .

ثم بلغوا الناس ما تعلمتموه لقوله جل وعلا ، الآية التي تلونها في أول حديثنا : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا
كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122] ، يحذرون عذاب الله ، وسخطه ، وأليم عقابه ، ويستقيموا على أمره جل وعلا ، وطاعته
سبحانه وتعالى ، هذا هو الواجب علينا - معشر الأُحبة - ، فإن من قام في هذا الباب وفقهه الله - جل وعلا -
وأعانه .

وأوصيكم آخر ما أوصيكم به : بإخلاص النية في الذي تقدم كله ، فإن من علم الله منه الإخلاص ،
أظهره على من ناواه ، وأقبل عليه بقلوب العباد ، فإن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن - سبحانه وتعالى -

كما أخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- ، هو الذي يُقْبَلُ بالقلوب ، وهو الذي يَضْفِي بها ، سبحانه ، لا أحد وهو الرافع الخافض - سبحانه وتعالى - ، لا أحد من خلقه ، هو الذي يعز وهو الذي يُذِل .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران 26] ، - سبحانه وتعالى - ، آمنت به وعليه توكلت ، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ، فإن علم الله منك الصدق والإخلاص كتب الله لك القبول .

ولا يضيّق صدرك أيها الأخ الداعي إلى الله من قلة التبع والمستجيب ، احرص على هداية الناس ، وابذل كما أمرك الله ، وابشر بالخير ، واعلم أن الكثير ليست بالمعيار ، قال جل وعلا - : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: 106]

قال : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: 116]

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : " يأتي النبي وليس معه أحد " ¹ ، فهذا دلالة على فساد المدعوين ، لا على عدم معرفة الداعي وعدم فقه الداعي ، لا ، هذا توفيق الله جل وعلا .

نوح ما آمن معه إلا قليل ، بعد ألف سنة إلا خمسين عاما ، ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: 40] ، صلوات وسلامه عليه ، فلا تبتسوا ، ولا تكتبوا إن رأيتم قلة المقبل ، فلأن يهدي الله بكم رجلا واحدا خير لكم من حمر النعم ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فاصبروا واحتسبوا ، " انفذ على مرسلك " كما قال عليه الصلاة والسلام لعلي بن طالب : " فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم " ² .
واصبروا في هذا الباب :

واصبر على لاحق من فتنة وأذى فيه وفي الرسل ذكرى فاقتدي بهم

¹ رواه البخاري في " صحيحه " برقم (5752) .

² رواه البخاري في " صحيحه " برقم (3009) .

لواحدُ بك يهديه الإله يكن غداً لك خيرٌ من حُمر النعم

أَسْأَلُ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يُبَصِّرَنَا وَإِيَّاكُمْ بِمُرَاشِدِ أُمُورِنَا ، وَأَنْ يَزِيدَنَا مِنَ الْخَيْرِ ، وَأَنْ يَفْقَهُنَا وَإِيَّاكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَنْ يُبَصِّرَنَا وَإِيَّاكُمْ فِيهِ ، وَأَنْ يَثْبِتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى نَلْقَاهُ .

كَمَا أَسْأَلُهُ - سبحانه وتعالى - أَنْ يَعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى مِرَاضِيهِ ، وَأَنْ يَجْنِبَنَا وَإِيَّاكُمْ أَسْبَابَ سُخْطِهِ ، وَأَسْأَلُهُ - سبحانه وتعالى - أَنْ يَهْدِيَ ضَالِّ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَأَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَنَا وَأَحْوَالَكُمْ وَأَحْوَالَ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ حُكَّامًا وَمُحْكُومِينَ ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِنَا ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .